

الفصل الأول

التعريف بعلم الاجتماع

عند التعريف بعلم الاجتماع فان الضرورة تحتم أن تكون هناك نظرة تعبر عن ماضى التفكير الاجتماعى الذى هو بمثابة جذور تاريخية تأسس عليها الفكر المعاصر . ذلك أن هذا العلم لم ينشأ طفرة واحدة وانما جاء وليد فكر اجتماعى ساد المجتمعات قديمها ووسطها وحديثها ، وظهرت فلسفات اجتماعية مهتة نشأة هذا العلم فى صورة علمية وموضوعية .

ومن هذا المنطلق كان علينا أن نشير - فى ايجاز - الى أنماط الفكر الاجتماعى فى عجلة بهدف توضيح الرؤية للقارىء ، ومن ثم يستطيع أن يلمس عن كتب مبلغ ما وصل اليه هذا العلم من تقدم معرفى .

ومن ناحية أخرى ، فانه من البديهي ونحن نعرف علم الاجتماع أن نشير الى أبرز اتجاهات الفكر السوسيولوجى عند اثنين من رواد هذا العلم ومؤسسيه وهما : العلامة العربى ابن خلدون ، والعلامة الفرنسى أوجست كونت . وقد قصدت الإشارة لفلسفة كل من هذين المفكرين نظرا للجدل الذى يثيره البعض حول : من هو مؤسس علم الاجتماع حقيقة ؟ اذ يرى البعض أنه ابن خلدون . وقد اسماء علم العمران باعتبار أنه اسبق تاريخيا من الفكر الفرنسى الذى طور العلم وأظهره فى ثوب حديث ، جعل البعض يعتبرونه المؤسس الحقيقى لعلم الاجتماع .

وفضلا عن ذلك فان الإشارة لفكر العالمين يعطينا صورة مقارنة لما توصل اليه علم الاجتماع من اتجاهات نظرية ومنهجية فى الوقت المعاصر ، والى أى حد كانت كتابات الرواد لبنة هامة ارتكز اليها الباحثون من بعدهم فى تاصيل مباحث هذا العلم ، وتحديد مواقفه تجاه مشكلات المجتمع وقضاياها .

وبعد الانتهاء من العرض التاريخي المهد لظهور علم الاجتماع ، نشير في فقرة ثالثة لأوضاع هذا العلم وأغراضه وفروعه ، حتى تتضح بآدى ذى بدء أبعاده وفلسفته الحقيقية واستقلاله ، بل ومقدار ما يسهم به من حلول جذرية لمشكلات المجتمع ، وتطلعات الفرد والجماعة فيه .

وحتى يتضح تعريف العلم ، كان لابد من الإشارة إلى العلاقة الوثيقة التى تربطه بالعلوم الأخرى وخاصة العلوم الانسانية والسلوكية التى يشترك معها فى علاقة عضوية من أجل تفسير السلوك الانسانى ودوافعه ، وأثره فى بناء المجتمع ووظائفه .

أولا - أبرز اتجاهات التفكير الاجتماعى من منظور تاريخى :

نشير فى هذه الفقرة فى ايجاز إلى أبرز ملامح التفكير الاجتماعى منذ العصور القديمة بهدف اعطاء فكرة عن التطور التاريخى للتفكير الاجتماعى عبر العصور والمجتمعات ، بحيث يستطيع القارىء أن يلمس عن كثب المؤثرات المجتمعية التى مهدت للوصول بعلم الاجتماع إلى المرحلة الوضعية ، فضلا عن الوقوف على أثر النسبية الزمانية والمكانية فى تحديد مسار العلم وتوصيح مقاصده وأهدافه .

ومن هذا المنطلق فسوف نتعرض لصور شتى من التفكير الاجتماعى فى بلاد الشرق القديم وعند اليونان والرومان ، وتأثير ظهور المسيحية والاسلام فى توجيه الفكر الاجتماعى فى العصور الوسطى ، ثم نشير فى عجاله إلى الدراسات الاجتماعية الحديثة التى تعد إحدى الروافد الجوهرية التى أدت إلى ظهور شخصية العلم .

فى بلاد الشرق القديم - ظهر التفكير الاجتماعى فى المجتمعات ذات الحضارة العريقة مثل مصر ، حيث توفر عدد من المفكرين والحكماء والفلاسفة والمصلحين ، قاموا بدراسة مجتمعاتهم ، وتركوا من توصايا والحكم والدراسات ما يعد ذخيرة حية لصورة المجتمع المصرى فى العصور القديمة ، فإذا استقرأنا التاريخ نلاحظ أن الفراعنة عرفوا نظم الحكم وتقنوا فى وضع التشريعات المختلفة الاجتماعية منها والاقتصادية وغيرها . وأمكنهم بذلك مزاوله الحكم أجيالا طويلة ، ونظرا لاتساع رقعة البلاد خاصة خلال حكم الأسرة الثانية عشرة والتاسعة عشرة ظهرت نظم كثيرة تتعلق بالسياسة

والحرب والقانون ، وقسمت البلاد الى أقاليم أدلها موظفون معينون من قبيل الفرعون ، كذلك يعتبر المصريون القدماء أول من عرف نظام المعاهدات الدولية ، وتبدو هذه المعرفة واضحة في معاهدة السلام التي عقدت بين رمسيس الثانى ، وبين ملك الحيثيين (١) .

ونجد فى الهند صوراً شتى من العقائد والأديان والأفكار المينافيزيقية التى أثرت بطريقة ما على نمط العادات والأعراف السائدة وأساليب التفكير والعمل ، وسيطرت على المعاملات والعلاقات والنظم بصورة يمكن القول معها ان هذه الافكار الهندية التقليدية فى مجموعها عنيت بخلق أجيال من المتعبدین والنساک بصرف النظر عن تكوين المواطن الصالح .

وعلى عكس الفلسفة الهندية القديمة ، كانت صورة التفكير الاجتماعى عند الصينيين القدماء ، فتدلنا المعطيات التاريخية على ظهور فئات من الفلاسفة الاجتماعيين والحكماء الذين اهتموا بشئون الاجتماع والأخلاق والسياسة وغير ذلك بصورة تؤكد على أنهم تمكنوا من التوصل الى أرقى ما وصلت اليه الفلسفة الانسانية فى عصورهم ، وكانوا على عكس الهنود ، واقعيين فى تصوراتهم وفلسفاتهم .

فاذا ما انتقلنا الى نمط التفكير الاجتماعى عند اليونان ، فائنا نلاحظ فيوع آراء وفلسفات كل من أفلاطون وأرسطو التى أسهمت بشكل ملحوظ فى تحديد المسار الاجتماعى للمجتمع اليونانى القديم ، وان كانت هناك فلسفات أخرى سابقة لآراء أفلاطون وأرسطو أمكن دراستها دراسة تحليلية .

ونود القول أنه لا يمكن بحال فى هذه العجالة أن نشير تفصيلاً لآراء أفلاطون وأرسطو ، وانما نكتفى بعرض الخطوط العامة لفلسفاتهما الاجتماعية ، وعلى سبيل المثال فان أفلاطون ترك بحوثاً أساسية هى : الجمهورية والسياسى والقوانين تتضمن دراسات مفصلة عن النواحي الاجتماعية ، خاصة فى كتابه « الجمهورية » حيث كان أفلاطون يرمى الى وضع أسس مدينة فاضلة تقوم على الفضيلة وتسودها العدالة ، وتبتعد عنها الشرور

(١) د . عبد الحميد لطفى : علم الاجتماع : الطبعة الخامسة . دار المعارف ١٩٧٣ ص ٢١٣ .

والآثام التي كانت سائدة في المجتمعات الماثلة في هذه العصور . وقد اعطى افلاطون للفلاسفة دور الاشراف وحكم هذه المدينة وفقاً لما تصوره من أسس معينة في التربية الاجتماعية ، وشكل الحكومة التي تشرف على تسيير الأمور فيها .

بينما كتب أرسطو كتابه منظمة في الدراسات الاجتماعية خاصة في كتابه « السياسة » الذي ضمنه نظرياته في شئون السياسة والاجتماع ، فقد درس نشأة الحياة الاجتماعية ، والدعائم التي يقوم عليها المجتمع السياسي ، فهي بمثابة مقومات نظرية الدولة ، وكان له أيضاً آراء في الرق والحكومة والأسرة . الخ وقد تناول كل ذلك بأسلوب تحليلي موفق ومقارن .

وعند الرومان انقسم التفكير الاجتماعي بالرواقية ، ثم وجه مزيد عنايته الى الأخلاق وتطبيقاتها ، وأضاف إليها نزعة دينية ترمى الى السمو بالانسان ، وتأثر القانون الروماني بهذه النزعة الرواقية التي سرعان ما أثرت بالتالي في أسلوب التعامل الاجتماعي ، وخاصة أن الرق يعتبر أول ظاهرة اجتماعية تتأثر بالفلسفة الرواقية . فقد أضفى « مارك أوريل » على الرقيق سمة أخلاقية ، وأصبح عضواً في المدينة ، كذلك أعطت الروح الرواقية الأب سلطات ونفوذاً واسعاً على أفراد أسرته ، وأثاحت لأفراد الأسرة بعض الحرية في نطاق الأسرة .

ولما ظهرت المسيحية جاءت بمبادئ أخلاقية ترمى الى المساواة بين الأفراد ، كما كره الآباء الأول نظام الرق ونظام الملكية الخاصة واعتبروهما نظامين فاسدين لا يصح وجودهما في دولة فاضلة ، ومن أبرز فلاسفة المسيحية في قرونهم الأولى أرسططين ، وسان توماس في القرون الوسطى ، وحنا كلفن الذي يمثل التفكير الاجتماعي المسيحي في عصر الإصلاح الديني .

وللعرب قبل الاسلام نظمهم الاجتماعية التي كان لها دور خطير في بناء المجتمع القبلي . فقد عرفوا الحج ومارسوا نظام الأضحية والقرابين ، والهوا الأصنام وعرفوا الكهانة ، كما عرفوا نظام الرق ، ومارسوا فن الطب ، وقدموا العصبية والمروءة والشجاعة .

ولما جاء الاسلام اهتم بالمعاملات والعقائد والعبادات ووضع تشريعات حقيقة ومنظمة ، وشجع على التفكير والاجتهاد ، وزادت العناية في العصر

العباسي بكل الثقافة ، وعنى المفكرون بتحليل ديناميات الحياة الاجتماعية ،
الا أن الدراسات الاجتماعية في العصر الاسلامي اتسمت بالصبغة الدينية ،
كما جاء في كتابات الفارابي ، الا أن هناك مظهرا تحليليا آخر أبرزه المفكر
العربي المسلم ابن خلدون في مقدمته الشهيرة . وسوف نتناوله في الفقرة
القادمة بشيء من التفصيل .

وفي صدر العصر الحديث ظهرت مجموعة من الدراسات التي تعد احدى
الروافد الأساسية التي أدت الى ظهور شخصية العلم مثل فلسفة ميكافيللي
السياسية التي جاءت نتيجة طبيعية لظروف العصر الذي نشأ فيه وتأثره
بالنهضة العلمية ، لذلك كانت له آراء في الأمير والدين ، والحرية والحكومة .

كما نلمس في القرن السادس عشر ظهور اليونوبيا الاجتماعية التي
تهدف الى الإصلاح ، وما ينبغي أن يكون ، مثل إلغاء الملكية الفردية وتوزيع
الثروات وأدوات الانتاج وموارد الاستهلاك توزيعا عادلا . ومن أشهر المفكرين
الذين نادوا بذلك توماس مور ، والمفكر الايطالي كيمبانا وغيرهما .

الا أنه يمكن القول أنه قد ظهرت في الفترة ما بين ابن خلدون وأوجست
كوفت مدارس علمية تعتبر ممهدة لظهور علم الاجتماع بصفة جدية . ومن
أشهر هذه المدارس :

أولا - نظريات التعاقد الاجتماعي : أو الفلسفة السياسية والتي حمل
لواءها الفيلسوف هوبز ولوك ، ثم المفكر الفرنسي روسو .

ثانيا - فلسفة القانون : وذلك بالرجوع الى أبحاث العلامة الفرنسي
مونتسكيو الذي يعتبر القانون مشتقا من الاجتماع الانساني ، وكان يهدف
من وراء ذلك الى وضع نظم مقارنة ، ونظريات سياسية وقانونية مستخلصة
من نتائج دراسته وملاحظاته .

ثالثا - فلسفة التاريخ : حيث نظر المفكرون المحدثون الى التاريخ
نظرة شاملة ، ويعتبرونه صورة حية يقرأ فيها الانسان عن الانسانية ، ومن
أشهر نظريات فلاسفة التاريخ نظرية العلامة الايطالي فيكو ١٦٦٨ - ١٧٤٤ ،
حيث يرى أن تاريخ الانسانية يمثل وحدة حية متماسكة ، وأن كل الشعوب
تمر في ثلاث مراحل متتالية هي : المرحلة الدينية ، ومرحلة البطولة ، ثم

المرحلة الانسانية . كذلك هناك نظرية فولتير الذى درس تاريخ الانسانية وقسمه الى مرحلتين : مرحلة الفطرة ومرحلة المدنية . كذلك يعتبر روسو من المفكرين الذين وضعوا نظريات فى فلسفة التاريخ ، فهو يرى أن الانسانية تطورت فى مراحل :

المرحلة الطبيعية (الفطرية) ، ثم المرحلة الفردية ، ثم مرحلة عم المساواة وأخيرا - مرحلة التعاقد ، ومن فلاسفة التاريخ المفكر تروجو الذى وضع نظرية فى دراسة تاريخ الانسانية وتحدث عن الحضارة واللغة والعادات والتقاليد والتشريع والمواريث ، وهناك ايضا المفكر الفرنسى كوندرسيه الذى درس تاريخ الانسانية وتطورها وظهر - بقانون ذى مراحل عشر لتطور الانسانية .

رابعا - أصحاب الفلسفة الاقتصادية : الذين درسوا انظواصر الاقتصادية باعتبارها خاضعة لقوانين اجتماعية ، كما درسوا ظاهرة الطبقات . ومن أشهر زعماء هذه المدرسة المفكر الفرنسى كنانى من زعماء مدرسة الفزيوقراط ، وكذلك العلامة الانجليزى آدم سميث الذى درس ظاهرة الطبقات الاجتماعية ، واعتبر العمل عاملا ضروريا من عوامل الانتاج ، وهناك فضلا عن ذلك آراء للعلامة مالتس فى السكان .

خامسا : وهناك أخيرا أصحاب النظريات الاشتراكية التى ظهرت فى فرنسا والتى تأثر رجالها بالأحوال الاقتصادية السائدة ، الا أنهم درسوا المسائل دراسة فلسفية فى ضوء مبادئ وأسس لا يمكن تحقيقها . ومن أشهر زعماء هذه المدرسة سان سيمون وشارل فوريرير وكانت (١) .

خلاصة القول : ان هذه المراحل التاريخية المتتابعة تصور التفكير الاجتماعى باعتباره رافدا جوهريا يوصلنا فى اطار حلقة المعرفة الانسانية الى مقومات علم الاجتماع فى صدر العصر الحديث ، فضلا عن ظهور اتجاهات شتى تتناول دراسة الاجتماع الانسانى بصورة تلائم طبيعة العصر الذى

(١) د. مصطفى الخشاب : تاريخ التفكير الاجتماعى وتطوره .
الانجلو المصرية ، ١٩٧٥ ص ١١ .

ظهرت فيه . وسوف نشير في الفقرة القادمة الى أبرز اتجاهات الفكر
السوسيولوجي عند كل من ابن خلدون وأوجست كونت .

ثانيا - نشأة علم الاجتماع

تتبعنا في الفقرة السابقة صورا شتى من صور التفكير الاجتماعي عند
الأمم والشعوب على مدار التاريخ ، وانتهينا الى ظهور مدارس فكرية كان لها
فضل التمهيد لظهور علم الاجتماع في المفهوم المعاصر .
الا أن هذه العجالة لا تكفي لتوضيح ماهية العلم ، وأرى أنه من
الضروري الرجوع الى التركيز على أبرز اتجاهات الفكر السوسيولوجي عند
اثنين من مؤسسي هذا العلم ، وقد تتبعها الباحثون يدرسون آراءهم
ويناقشونها ويحلونها ، وقد سبق القول الى أننا سوف نقتصر على دراسة
أهم معالم الفلسفة الاجتماعية عند كل من : ابن خلدون ، وأوجست كونت .

ابن خلدون :

ولد أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون في أول رمضان عام ٧٣٢ هـ الموافق
٢٧ من مايو ١٣٣٢ م في تونس من أسرة ينحدر مؤسسوها في الأندلس من
أصل حضري ، وينتسب الى وائل بن حجر ، واحد من كبار الصحابة كان
يعلم قومه القرآن والاسلام .

وتجدر الإشارة الى أن ابن خلدون قد ولد في بيت علم : تعلم اللغة
العربية وحفظ القرآن الكريم ، واهتم بدراسة الحديث والفقه ، وحفظ كثيرا
من الشعر ، وكان تواقا دائما الى الدراسة والتأصيل العلمي ، وكان ذلك هدفا
حدده لنفسه منذ صغره ، لدرجة أن السلاطين والحكام استعانوا به في مهام
مختلفة ، ربما شغلته تلك المهام عن طلب العلم فترة ، لكنه كان حريصا على
المزيد باستمرار من التزود بالعلوم . فقد اقتضت الضرورة أن يغادر ابن خلدون
تونس ، ويتنقل في بلاد المغرب ، وأن يقوم بالنشاطات العلمية والسياسية .
وليس من شك أن هذه النشأة العلمية والبيئة الاجتماعية التي عاش
فيها ابن خلدون قد وسعت مداركه ، وأتاحت له فرصا نادرة للفتح الذهني ،
ومقابلة العلماء من مختلف التخصصات والثقافات (١) .

(١) د . حسن الساعاتي : علم الاجتماع الخلدوني . دار المعارف الطبعة
الثالثة ١٩٧٥ ص ٢٥ .

وقد تطرق ابن خلدون إلى موضوعات شتى تتعلق بال عمران البشرى .
تراه مثالا يقول في مقدمته في الباب الأول من الكتاب الأول « في العمران البشرى
على الجملة وفيه مقدمات (١) » .

« الأولى في أن الاجتماع الانساني ضرورة ، ويعبر الحكماء عن هذا
بقولهم (الانسان مدنى بالطبع) ، أى لابد من الاجتماع الذى هو المدنية فى
اصلاحهم ، وهو معنى العمران فى بيانه أن الله سبحانه وتعالى خلق
الانسان وركبه على صورة لا يصح حياتها وبقاؤها الا بالغذاء ، وهدها الى
التماسه بفطرته وبما ركب فيه من القدرة على تحصيله ، الا أن قدرة الواحد
من البشر قاصرة عن تحصيل حاجته من ذلك الغذاء ، غير موفية له بمادة
حياته منه ، ولو فرضنا منه أقل ما يمكن فرضه وهو قوت يوم من الحنطة
مثلا ، فلا يحصل الا بعلاج كثير من الطحن والعجن والطبخ .. ويستحيل أن
تفى بذلك كله أو ببعضه قدرة الواحد ، فلابد من اجتماع القدرة الكثيرة من
أبناء جنسه ليحصل القوت له ولهم » .

فكان ابن خلدون وهو بصدد الحديث عن نشأة العمران البشرى يعتبر
عملية التعاون ركيزة ضرورية لقيام هذا العمران ، وإذا كنا قد اقتطفنا مثالا
من صور هذا التعاون وهو عن عملية الغذاء ، فانه يعطى أيضا صورة شتى
لضرورة هذا التعاون وأهميته مثل الدفاع عن النفس .

وإذا كان ابن خلدون يرى أن التعاون بين الافراد والجماعات ضرورة
اجتماعية لقيام العمران البشرى ، فانه لم يترك هذا التعاون يتم مصادفة
وحسب الأهواء . ذلك أنه يقول فى الباب الثالث من الكتاب الأول « أن
العمران البشرى لابد له من سياسة ينتظم بها أمره » :

« اعلم أنه تقدم لنا فى غير موضع أن الاجتماع من وازع حاكم يرجعون
اليه ، وحكمه فيهم تارة يكون مستندا الى شرع منزل من عند الله سبحانه
وتعالى يوجب انقيادهم اليه ايمانهم بالثواب والعقاب عليه الذى جاء به
مبلغه ، وتارة الى سياسة عقلية يوجب انقيادهم اليها ما يتوقعونه من ثواب

(١) مقدمة ابن خلدون . تحقيق الدكتور على عبد الواحد وإفى ص ٣٩ .

ذلك الحاكم بعد معرفته بمصالحهم ، فالأولى تحصل نفعها في الدنيا والآخرة
بعلم الشارع بالصالح في العاقبة ، والمراعاته نجاة العباد في الآخرة ، ولثلاثية
انما يحصل نفعها في الدنيا فقط ، (١) •

وواضح من هذا النص أن ابن خلدون انما يتحدث عن مقومات علم
الاجتماع السياسى بالمفهوم المعاصر ، وان كانت كتاباته تتسم بالروح الدينية
التي تشبع بها منذ فترة دراسته ، وتبدو هذه الصبغة الروحية في اهتمام
ابن خلدون بحكم انشاء الذى فيه نجاة العباد في الدنيا والآخرة ، بينما حكم
الأرض انما ينفع الناس في الدنيا فقط • أى أن المتغير الدينى له اثره البعيد
في فكر ابن خلدون •

وحين يتحدث عن ضرورة قيام العمران البشرى ، وأن هذا العمران لابد
له من سياسة ينتظم بها أمره ، نجده في وضع آخر يرى : « أن الحضارة
نماية العمران ونهاية عمره ، وأنها مؤذنة بفساده » (٢) وتفصيل ذلك
حسب قوله :

« ••• وأن العمران كله من بداوة وحضارة وملك وسوقه له عمر
محسوس ، كما أن للشخص الواحد من أشخاص المكونات عمرا محسوسا ،
وتبين في المعقول والمنقول أن الأربعين للانسان غاية في تزايد قواه ونموها ،
وأنه اذا بلغ سن الأربعين وقفت الطبيعة عن أثر النشوء والنمو برهة ، ثم
تأخذ بعد ذلك في الانحطاط ••• فلتعلم أن الحضارة في العمران أيضا كذلك لأنه
غاية لا مزيد وراءها ، وذلك أن الترف والنعمة اذا حصلا لأهل العمران دعاهم
بطبعه الى مذاهب الحضارة والتخلق بعوائدها • والحضارة كما علمت هي
التفنن في الترف واستجداء أحواله والكلف بالصنائع التي تؤنق من اصنافه
••• وهكذا يستطرد ابن خلدون في كيفية تغير النفس الانسانية بتأثير
مظاهر (الحضارة) التي تتفاوت بتفاوت العمران ، فيحدث الفساد « ويموج
بحر المدينة بالسفلة من أهل الاخلاق الذميمة • واذا كثر ذلك في المدينة أو
الامة تأذن الله بخرابها وانقراضها » •

(١) المقدمة ص ٢٧٢

(٢) المقدمة ص ٣٣٤

وهكذا يصور لنا ابن خلدون كثيرا من مظاهر سوء التنظيم الاجتماعي بالفهم المعاصر ، وما يحدث نتيجة ذلك من تخلف ، وكل هذه الأمور توضح أن ابن خلدون كان محللا دقيقا لظواهر العمران البشرى كلما لمسه عن كثب في رحلاته وتراحاله ، مما يدل دلالة قاطعة على أن فلسفته الاجتماعية لم يضعها من وحي الخيال ، وإنما هي من مزيج منسهر لثقافته وواقع مجتمعه ، والمؤثرات المجتمعية التي عاشها وتأثر بها .

وفضلا عن كل ما تقدم ، نراه يحدد العلاقة بين علمه الجديد ، علم العمران ، وبين التاريخ في قوله (١) .

« اعلم أن فن التاريخ فن عزيز المذهب ، جم الفائدة ، شريف الغاية ، إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم ، والأنبياء في سيرهم ، والملوك في دولهم وسياستهم ، حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك إن يرونه في أحوال الدين والدنيا ، فهو محتاج إلى مأخذ متعددة ، ومعارف متنوعة ، وحسن نظر وتثبت يفضيان بصاحبهما إلى الحق ، وينكبان به عن المزالاة والمغالط ، لأن الأخبار إذا اعتمد فيها على مجرد النقل ولم تحكم أصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والأحوال في الاجتماع للإنسانى ولا قيس الغائب منها بالشاهد ، والحاضر بالذاهب ، فربما لم يؤمن فيها من العثور ، ومزلة القدم ، والحيد عن الصدق ، وكثيرا ما وقع للمؤرخين والمفسرين دائمة النقل من المغالطات في الحكايات وأنواع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غشا أو ثميئا .

ولا غرابة في أن يضع ابن خلدون قاعدة هامة في الانتفاع بالمعطيات التاريخية في تاصيل البحث الاجتماعي ، خصوصا وأنه قرأ تاريخ العالم الاسلامى ، وهجته دراسة هذا التاريخ الى ما يحدث في العالم من ظواهر اجتماعية لا تسير حسب الأحوال والمصادفات ، ولا وفق ارادة الأفراد ، وإنما وفق قوانين ثابتة ، وقد دفعه ذلك الى ضرورة إعادة النظر في أسلوب معالجة الوقائع التاريخية نظرا للمغالطات الشديدة التى يقع فيها المؤرخون ، كما هو واضح من النص .

(١) المقدمة ص ١٢ .

وقد حفلت المقدمة بكثير من الدراسات السياسية والاجتماعية المتعلقة بالحروب والخلافة والعصبية ، والنظم الأسرية والتربوية والأخلاقية ، وهي ان دلت على شيء فانما تدل على أصالة فكر ابن خلدون وتعمقه في تأكيد هوية ذلك العلم .

وبذلك نخلص الى القول بان علم الاجتماع في نظره ان هو الا علم نظري تقريري يهدف الى شرح ما هو كائن للوقوف على طبيعة الحقائق المدروسة وعناصرها ووظائفها ، والقوانين التي تخضع لها ، وله جانب تطبيقي يرمى الى الانتفاع بنتائج هذه الدراسة العلمية التحليلية في تصحيح التاريخ (١) .

غير انه يمكن أن يوجه النقد الى ابن خلدون في أنه لم يحسن استغلال قواعده المنهجية ، ولم يسر في تطبيقها الى النهاية . وأن ما توصل اليه من قوانين اجتماعية يكاد لا يصدق الا على الأمم التي لاحظها ، وان كان هذا النقد لا يقلل من الأصالة العلمية لابن خلدون كأول مفكر في علم الاجتماع (٢) .

هذا هو نمط التفكير السوسيولوجي عند العلامة ابن خلدون ، وهو يمثل لونا من ألوان الفهم الاجتماعي خلال حقبة معينة من التاريخ .

ولنتنقل الآن الى دراسة أخرى تشير الى فهم آخر لحقائق الاجتماع الانساني عند العلامة أوجست كونت .

أوجست كونت ١٧٩٧ - ١٨٥٧ :

سبق ان أوضحنا أنه في الفترة ما بين ابن خلدون وأوجست كونت ظهرت مدارس فكرية متعددة تناولت دراسة شئون العمران البشري سياسيا واجتماعيا وقانونيا واقتصاديا وقلنا ان هذه المدارس تعد بحق مهمة لظهور علم الاجتماع بالفهم الحديث . وبطبيعة الحال فقد استفادت هذه المدارس من كافة الاتجاهات والآراء السوسيولوجية السابقة على ظهورها حتى جاء العلامة الفرنسي أوجست كونت ، وطالب بضرورة نشأة علم جديد.

(١) د. مصطفى الخشاب : دراسة المجتمع . الانجلو المصرية ١٩٧٥

(٢) د. مصطفى الخشاب : مرجع سابق ص ١٦٥ .

لحراسة المجتمع : سماه في بادئ الامر ، علم الطبيعة الاجتماعية ، ثم عاد
تاسماه علم الاجتماع .

وهنا يثور سؤال حول أول من أنشأ هذا العلم : هل هو العلامة ابن
خلدون ، أم أنه أوجست كونت ؟ اننا نميل الى القول بأن ابن خلدون هو أول
من أنشأ هذا العلم ، وقد سبق كونت بحوالى أربعة قرون في اظهار علم
ال عمران « الاجتماع » . ثم جاء الثانى (كونت) مدفوعا بتأثير - الحالة
الباثولوجية التى سادت المجتمع الفرنسى ، وطالب بانشاء علم جديد لاصلاح
حال المجتمع وانقاذه من الفوضى الاخلاقية والعقلية الشائعة حينذاك ، مكانه
نظر الى الظواهر والنظم الاجتماعية السائدة فى عصره ليصنع العلم بالسمة
الملائمة لطبيعة العصر الذى عاش فيه ، متأثرا بكافة الظروف والمؤثرات
المجتمعية والثقافية السائدة . وبمعنى آخر فان كونت وضع صياغة جديدة
للعلم الذى يدرس المجتمع بعد أن مر عليه زمن طويل بعد وفاة ابن خلدون .

اذن فما هو مفهوم علم الاجتماع من وجهة نظر أوجست كونت ؟

يرى Max Horkheimer أن مفهوم علم الاجتماع يشير الى العلم
الذى يدرس المجتمع ، وأن لهذا المفهوم دلالة لاتينية تشير الى خصائص
النظام فى المجتمع باعتباره محور مناقشات هذا العلم .

ويشير أيضا الى أن علم الاجتماع بهذا المعنى قد وضع بمعرفة عالم
الاجتماع الفرنسى أوجست كونت *Compte* الذى هو فى نظر الفرنسيين
مؤسس العلم . فقد وضع كتابا سماه ، دروس فى الفلسفة الوضعية ١٨٣٠ -
١٨٤٢ ، حاول ان يصنع هذا العلم بالروح الوضعية حتى يكتسب مقومات
العلوم المحترمة ، ويخلصه من كافة ما علق به من معارف عامة ، ومعتقدات
دينية ، وميتافيزيقية ، هادفا الوصول الى الحقيقة الاجتماعية ، طامحا ان
يوضع فى مصاف العلوم الطبيعية والرياضية هذا من ناحية ، ومن ناحية
أخرى يهدف العلم الجديد الوصول الى مرحلة التطبيق بعد مرحلة التنظير
الموضوعى ، وبذلك يتخلص العلم من التفكير الفلسفى الخيالى خاصة وأنه
كان أحد فروع الفلسفة التى اهتمت بدراسة نظام المجتمع فى نظرية شاملة
واسعة ، فهذا أفلاطون ، نجد فى فلسفته المعلنة فى جمهوريته الخيالية افكارا
فلسفية عن مجتمع العدالة بل ان اتباعه كانوا انعكاسا أميناً لتجربته فى

دراسة المجتمع • وقد استفاد من أفكار سقراط حول علاج مشكلات المجتمع
بعمامة •

مكذا أراد كونت تخلص العلم الجديد من الأفكار الفلسفية و يقيم
دعائمه على أسس موضوعية ، مثلما هو الحال في العلوم الطبيعية التي تصل
إلى قوانين أكثر يقينا أنه يجب أن بتغير المجتمع عن طريق قيام علم الاجتماع
الوضعي الذي يهدف حتما إلى خلق مجتمع انساني منظم ، وأن يتسنى له
تحقيق هذا الهدف إلا اذا صيغت نظرية عامة لهذا العلم (١) •

وقد قسم كونت علم الاجتماع إلى قسمين : السناتيك سوسيال ، وهو
ما يتعلق بالاستقرار ، ثم الديناميك سوسيال وهو الجانب التطوري في
العلم • وليس هناك في حقيقة الأمر فصل بينهما ، فالسناتيك سوسيال
يهتم بدراسة التفاعلات الداخلة في إطار البناء الاجتماعي وما تؤدي إليه من
قيام عمليات التعاون ، وتقسيم العمل بين الأفراد والجماعات • ويرى كونت
أن الأسرة هي الوحدة الاجتماعية الأولى في المجتمع وليس الأفراد ، فهي ثمرة
الحياة الاجتماعية ، وأن كان يميز بينها في طبيعتها وبين طبيعة المجتمع ،
لأن الأسرة لها خواصها الخلقية والعاطفية التي تتميز عن طبيعة المجتمع
الكبير المتمسم بسمات التعاون ، والمتميز على وجه الخصوص بالطبيعة
العقلية •

وكما كان لابن خلدون دراسات شتى من النواحي الاجتماعية - فكذا
درس أوجست كونت الاقتصاد والأخلاق ، إلا أنه طالب بضرورة قيام ديانة
وضعية هي عبادة الإنسانية بدلا من فكرة الإله في الديانات السماوية ، وهذه
حطية لا يمكن أن نغفرها لأوجست كونت ، وأبسط ما تشير إليه الفكرة أنها
تميل إلى الفلسفة التي أراد كونت أن يخلص العلم منها •

أما الجانب الدينامي في فلسفة كونت فيتعلق أساسا بدراسة كل عوامل

Max Horkheimer: Aspects of sociology by the frankfort (١٧)
Institute for social Research, trans by veirted Henman, 1973 P.I.

التقدم في المجتمع والأسباب الدافعة الى التغيير الاجتماعي ، فهو يرى أن التقدم قد ظهر أول ما ظهر في العلوم الطبيعية . ولا مناص من أن يشمل الدراسات الاجتماعية . وعلى ذلك يؤمن كونت بقانون التقدم الانساني .

اذ يرى أن الانسانية قد مرت في مراحل تطورها بثلاث مراحل هي :
المرحلة اللاهوتية أو الدينية ، ثم المرحلة الميتافيزيقية ، وأخيرا وصلت الى المرحلة الوضعية . هذا القانون التطوري هو في نظر المفسر لكافة مظاهر التطور في المجتمع .

وعلى الرغم من الأهداف العلمية التي وضعها كونت لانشاء علم الاجتماع من حيث تحقيق الوضعية في البحث الاجتماعي ، الا ان آراءه واتجاهاته لم تخل من مثالب كثيرة ، من بينها : أن اعتبار الانسانية كل لا يتجزأ يخضع لقانون واحد ، قول خالي وغير واقعي ، اذ الملاحظ أن هناك مجتمعات وليس مجتمعا واحدا عالميا . أما فكرة تطور الانسانية من مرحلة دينية ثم ميتافيزيقية فوضعية ، فانه ليس من الضروري تتابع هذه المراحل في سياق زمني على التوالي ، اذ تجد في الوقت الحاضر من يفسر الظواهر الاجتماعية والطبيعية تفسيراً دينياً ، في الوقت الذي يقول فيه كونت أننا وصلنا مرحلة الوضعية ، وعلى ذلك يمكن القول أن قانون الحالات الثلاث قانون فلسفي لانه ينطبق على مجتمعات تاريخية بعينها دون أن يستقرى كونت تاريخ كل المجتمعات الانسانية ، هذا فضلا عن أن القانون يفسر الحضارة بمعنى التقدم ، في حين أن مفهوم الحضارة عبارة عن مستوى عام للحياة ، مادية كانت أم روحية للمجتمع ، دون نظر الى تقدمها أو تأخرها (١) .

وفوق كل ذلك فان توصله الى قانون الحالات الثلاث يناق ما جاء به - كما سبق القول - من اتجاهات وأهداف علمية وضعية . وفصلا عن ذلك فان الدين الوضعي الذي نادى به لا يمكن أن يوضع وضعاً ، فالدين نظام اجتماعي ينشأ نشأة تلقائية (٢) .

ورغم هذه الانتقادات الموجهة لكونت فانها لا تقلل من شأنه وأصالته

(١) د . عبد الحميد لطفي : مرجع سابق ص ٢٨٢ .

(٢) د . مصطفى الخشاب : مرجع سابق ص ٢٥٨ .

وبحاولته صياغة قضايا علم الاجتماع بحسب ظروف العصر الذى عاش فيه
وارسائه على أسس موضوعية .

ثالثا - موضوع علم الاجتماع وأغراضه وفروعه :

بعد أن تعرضنا فى الفقرات السابقة لتوضيح أبرز اتجاهات التفكير
الاجتماعى ، واشيرنا الى المقومات الأساسية للفلسفة الاجتماعية عند كل من
ابن خلدون وأوجست كونت . نتناول فى هذه الفقرة التعريف بموضوع العلم
وأغراضه وفروعه مستفيدين فى ذلك الى أبرز آراء الفكر السوسيولوجى لرواد
علم الاجتماع .

يرى العلامة هيربرت سبنسر ١٨٢٠ - ١٩٠٣ أن علم الاجتماع ينبغي
أن يدرس مقومات التعاون بين الوحدات الاجتماعية داخل المجتمع ، فمثلا
عليه أن يدرس تطور الأسرة ونشأة التنظيم السياسى ، الذى ينظم سلوك
الأفراد والجماعات ويضع من الضوابط ما يحقق الانسجام بين الجميع ، كما
يتعين على العلم أن يدرس تطور الأبنية الكفسيية ووظيفتها وكيف تعتبر أداء
اجتماعية ضابطة ، أيضا فان دراسة قطاع الصناعة من منظور سوسيولوجى
يعد على جانب كبير من الأهمية فى دراسات علم الاجتماع ، وهكذا نرى أن
علم الاجتماع فى مفهوم سبنسر لا يقتصر على دراسة نظم بعينها ، أو عمليات
اجتماعية كالضبط الاجتماعى بمفرها ولكن يدرس التأثيرات المتبادلة بين
الأجزاء والكليات وما ينجم عن ذلك من تبادل وتفاعل فى العلاقات ، وهكذا
يعتبر سبنسر المجتمع وحده التحليل السوسيولوجى عند الباحث الاجتماعى ،
ذلك أنه وإن كانت أجزاء المجتمع ووحداته وتنظيماته تبدو وكأنها منفصلة
عن بعضها البعض إلا أنها ترتبط بعلاقات دائمة وهذا ما يجعل المجتمع يمثل
كيانا كليا ، وموضوعا أساسيا لدراسة الاجتماعية المقارنة سواء على
المستوى الأفقى بين مجتمع وآخر أو على المستوى الرأسى داخل المجتمع
أما عبر تاريخه وذلك حتى ننبين حقيقة البناء الاجتماعى ووظيفته .

واهتم العلامة ماكس فيبر Max Weber ١٨٦٤ - ١٩٢٠ أساسا
بفصاها منهجية فى كتاباته الاجتماعية فقد نادى بمنهج « الفهم » لمناقشة
التغيرات التى تحدث حين يتمسك بالموضوعية ، والحياد فيما يتصل باطلاق

الاحكام القيمية في العلوم الاجتماعية وقد وضع فيبر تفسيراً لعلم الاجتماع مؤداه أنه العلم الذي يمارس تفسير الفعل الاجتماعي Social action للوصول الى نتائجه باعتبار أن الفعل الاجتماعي في مفهوم فيبر يحوى كافة أنواع السلوك الانسانى حينما يصيغها الفاعلون بسمات فردية ، الا ان فيبر لم يدرس هذه الأفعال الاجتماعية بصفتها هذه بمعنى أنه لم يؤسس علم الاجتماع عنده على مجموعة من الاحكام الوصفية لهذه الأفعال والعلاقات وانما ركز جهده على دراسة بعض النظم القائمة بالفعل مثلاً : الدين والاقتصاد والأحزاب والسلطة والبيروقراطية والطبقة الاجتماعية والطبقة المثقفة والحداثة والموسيقى (١) .

ويرى Max Horkheimer أنه حين نحاول تحديد موضوعات علم الاجتماع فاننا بالضرورة ينبغي أن ننظر الى اشكال المجتمعات وأن ننظر الى ظواهر المجتمع كالأسرة والمهنة والدين والحزب ، فهذه الظواهر تعتبر مجالا خصبا لدراسات علم الاجتماع ، كما أن بينها تسانداً وظيفياً ، وفوق ذلك فان فكرة التنبؤ في علم الاجتماع على جانب كبير من الأهمية وتدل على تنسيق فعال بين جزئيات الظاهرة حتى يمكن حدوث التنبؤ وبالتالي يمكننا الوصول الى فكرة القانون ، كما ان دراسة التغير الاجتماعي تعتبر موضوعاً هاماً يدخل في دائرة نفوذ علم الاجتماع حيث يتعرف الباحث على عوامل هذا التغير اذ قد يكون تغيراً بالثورة .

ووصف ليند علم الاجتماع عام ١٩٣٩ بأنه الاجتماع الواقعى ذلك ان هذا العلم في نظره يهدف الى تحقيق درجة من التقاء في الاشكال الاجتماعية وقد يسمى بعلم الاجتماع الشكلى ، ويخص نفسه بميادين تبحث عن الحقيقة الاجتماعية بأسلوب وصفى تقريرى ، وهنا تبدو الحقيقة الواضحة في ان المجتمع يحتوى على ظواهر وعمليات اجتماعية مثل الطبقات الاجتماعية والتدرج الاجتماعى والديناميات الاجتماعية والضبط الاجتماعى .

إذا من الأهمية بمكان أن ننظر الى مفهوم علم الاجتماع من زاوية

(١) د . محمد الجومرى وآخرون : دراسة علم الاجتماع . دار المعارف بمصر الطبعة الثانية ١٩٧٥ ص ١٥ .

سوسيولوجية لا غبار عليها باعتبار أن الأفراد إن هم إلا كائنات انسانية تجمعت في شل جماعات تعتبر وحدات أساسية في تكوين المجتمع ذلك هو التفسير السوسيولوجي « مجتمع » وهو نطاق دراسة علم الاجتماع ، وإن كان هناك من يفسر المجتمع من منظور بيولوجي أو منظور نفسي داخلي . أو قد يفسره البعض من منطق الصراع من أجل البقاء .

لكن هذه التفسيرات المتباينة لا تجعلنا نفقد هويتنا السوسيولوجية باعتبار أن المجتمع بناء متماثل يضم أفرادا وجماعات يعتمد بعضهم على بعض ولكل وظيفة اجتماعية وبهذا يصبح مفهوم المجتمع مفهوم وظيفي ، وعلم الاجتماع بهذا يصبح علم الاجتماع للوظيفي (١) .

وزيادة في تأصيل مفهوم العلم فإن العلامة « مت Paul E. Mott يرى أن علم الاجتماع يتعلق بدراسة السلوك الانساني ، ولذلك فهو ميدان مصاحب لعلم النفس والعلوم السياسية والاقتصادية والأنثروبولوجيا الاجتماعية ، وقد يدعى الفرد حين يرى الانفصال البادى بين هذه العلوم خاصة وأنها تدرس السلوك الانساني ، لكن مع هذا ينبغي أن نضع في الاعتبار تلك العلاقة الوثيقة بين علم الاجتماع وعلم النفس مثلا وتكون هذه العلاقة أوضح ما تكون حينما تقوم بدراسة الجريمة والانتحار وانحراف الأحداث فكلا العلمين يقوم بتفسير أسباب السلوك الانحرافي من منظور سوسيولوجي في علم الاجتماع أو من منظور سيكولوجي في علم النفس ، ويتضح من ذلك أن علم الاجتماع لا يهتم بدراسة السلوك الانساني من الداخل . ولكن يرجعه الى أثر البيئة الاجتماعية ، والموقف الاجتماعي الذي يحدث في اطاره الفعل ، وبمعنى آخر فإن الجماعات الانسانية تؤثر على الأفراد باعتبار أن الجماعة شكل من أشكال التنظيم يساعد الأفراد على التفاعل والتأثر والتأثير بالغير (١) .

وهناك تعريفات متباينة للعلم ، فقد عرفه « جدنجز » بأنه الدراسة

Max Morkheimer : op. cit., P. 1.

(١)

Paul E. Mott : The organization of society. Prentice

(٢)

Hall, Inc. Englewood cliffs, New Jersey 1965 p. 3.

العلمية للمجتمع وعرفه « روس » بأنه علم الظواهر الاجتماعية ، وعرفه
« ماكيفر » بأنه العلم الذى يدور حول العلاقات الاجتماعية (١) .

من كل ما تقدم يمكن القول أن علم الاجتماع يقوم بدراسة الظواهر
الاجتماعية دراسة بنائية وظيفية تطويرية مقارنة ، وهو فى سبيل ذلك يقوم
بتفسير اسس العلاقات الاجتماعية القائمة من واقع التفاعل المتبادل بين
الجماعات . ويهدف العلم من وراء ذلك الى الوصول لفكرة القانون الاجتماعى
الذى هو ثمرة كافة البحوث والدراسات السوسولوجية .

وتجدر الإشارة الى أنه وإن وصف علم الاجتماع بأنه علم نظرى يفر
حقائق الأشياء كما هى عليه ، مع هذا فإنه له أهدافا تطبيقية عمية ،
فالدراسة النظرية للظاهرة الاجتماعية مثلا هى بمثابة خلفية نظرية لا غنى
عنها لقيام دراسة ميدانية وفقا لاطارها العام كما يحدث فى كافة العلوم
المجترمة ، وفى علم الاجتماع لا يتمكن الباحث من القيام بعمل ناجح مأمون
العواقب فى مجال الإصلاح الاجتماعى الا بعد التمهيد لذلك بدراسة نظرية
للمجتمع موضوع البحث ، والوقوف على القوانين التى تحكم سير الظاهرة
الاجتماعية وفى ضوء ذلك يتمكن الباحث من وضع خطط العلاج (٢) .

ويرتبط تحديد موضوع العلم وأهدافه بما نسميه بفروع علم الاجتماع
ذلك أن مجال الدراسة فى هذا العلم أصبح متشعبا وغزيرا ، بحيث يكون من
المعذر الوصول الى نتائج يقينية ، مع اتساع دائرة نفوذه بهذه الصورة ،
وعلى هذا الأساس فإن الضرورة تحتم أن يكون هناك علم الاجتماع العام
الذى يدرس فلسفة العلم وقوانينه ومبادئه وأهدافه ، وأن يكون الى جانب
هذا العلم فروع تابعة له يغذيها بمقوماته الأساسية ، وفى ذات الوقت
يتخصص كل فرع فى مجال معين لدراسة الظواهر الاجتماعية وهكذا تبحو
الرابطة بين علم الاجتماع العام وفروعه ، فهناك تداخلا بين هذه الفروع
وعناك تساندا وظيفيا بينها وبين العلم العام .

(١) د . عبد الحميد لطفى : مرجع سابق ص ٣٥

(٢) د . مصطفى الخشاب : مرجع سابق ص ٥٥

ومن هذا المنطلق رأينا أن نلقى بعض الضوء على فروع العلم المختلفة حتى تكتمل الصورة في ذهن القارئ .

من بين هذه الفروع - علم الاجتماع الحضري - ويدرس هذا العلم المدينة باعتبارها المتغير الأساسي في تفسير الحياة الحضرية ، وقد اهتم بذلك الفرع زعماء مدرسة شيكاغو وعلى الأخص روبرت بارك ، ولويس ويرث ، وروبرت ريد فيلد وآخرون من بعدهم ، اعتمدوا على المنهج الاكولوجي في تفسير الحضرية (١) باعتبار أن ظهور المدن وما يصاحبها من تغير وهجرات وزيادة في كثافة سكانها وتأثيرها بالتقدم التكنولوجي وما استهدفت له من مشكلات مختلفة ، كل هذه الأمور دعت الى ضرورة قيام علم الاجتماع الحضري مستهدفا كافة هذه المقومات الحضرية (٢) .

ويقوم علم الاجتماع الصناعي - وهو أحدث فروع العلم بدراسة الصناعة باعتبارها ظاهرة اجتماعية سواء في نشأتها أو تطورها أو خصائصها، كما يعني هذا العلم بدراسة المجتمع الصناعي من مديريين أو مشرفين أو علاقات صناعية وإنسانية (٣) .

ويدرس علم الاجتماع الأخلاقي - الأخلاق باعتبارها ظاهرة اجتماعية محورها النواجب الذي يرتبط واقعيا بالمجتمع لا ما يمليه أوامر 'العقل الداخلية' وتشقق أساسا من أوامر العقل الجمعي متمثلة في سنن المجتمع غير المكتوبة ويهتم هذا الفرع من علم الاجتماع بخلق المواطن الصالح الذي يراعى قواعد المجتمع وأهدافه ويعمل على تقدمه ويتمشى مع ما يفرضه القانون من تعليمات (٤) .

ويدرس علم الاجتماع الاقتصادي - الظواهر الاقتصادية من منظور

(١) د . محمد الجوهري : مرجع سابق ص ١٦٠ .

(٢) د . مصطفى الخشاب : علم الاجتماع الحضري . الانجلو المصرية ١٩٧٦ ص ٣ .

(٣) د . عبد العزيز عزت : علم الاجتماع الصناعي . الانجلو المصرية ١٩٦١ ص ٥ .

(٤) د . عبد العزيز عزت : في الاجتماع الأخلاقي . الانجلو المصرية ١٩٥٩ ص ٤٠ .

سوسيولوجي باعتبارها لا توجد الا في مجتمع ، لذلك فان هذا العلم ينظر الى الظواهر الاقتصادية باعتبارها ظواهر اجتماعية تتفاعل وتتساند مع باقى الظواهر الأخرى من دنيوية وسياسية وأخلاقية ولغوية ... الخ ويهتف الاجتماع الاقتصادى الوصول الى قوانين ذات طبيعة اجتماعية لدراسة البناء الاجتماعى والعمل على تقدمه والارتقاء بمستوى الحياة فيه وهو في هذا يراعى مبدأ النسبية الزمانية والمكانية في دراسته لكافة هذه الأمور (١) .

وقد ظهر علم الاجتماع الريفي - كمبحث مستقل في مطلع هذا القرن ثم ظهر بعد ذلك في أوروبا خلال فترة لاحقة ، ويهتم هذا الفرع أساسا بدراسة المجتمعات الريفية وعلاقتها بالمجتمع الأكبر ، كما أن هناك دراسات ريفية اهتمت بدراسة المجتمع الريفي في الدول النامية في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية كما اهتمت دراسات اجتماعية ريفية أخرى بالنمط الاقتصادى للريفيين في مجتمعات ذات احيولوجيات متباينة ودور الفلاحين كقوة اجتماعية في أحداث المجتمع السياسية والاجتماعية والاقتصادية (٢) .

ويهتم علم الاجتماع العائلي بدراسة الأسرة كنظام اجتماعي في نشأته وتطوره وأشكاله ووظائفه ، ويقوم بدراسة مشكلات الأسرة وأسلوب العلاج وعلاقة الوظيفية الأسرية بالنظم الاجتماعية الأخرى .

تلك هي أبرز فروع علم الاجتماع العام يختص كل منها بدراسة ظواهر محددة وبذلك يكتمل للعلم مقوماته الأساسية ، ويبتعد عن الحشو العشوائى للمعلومات السطحية ، ويبقى علم الاجتماع العام الأم التى تمتد وليدها بفروع البحث وأسس الدراسة حتى تتمكن هذه الفروع من ارساء بحوثها ومقومات الدراسة فيها على أسس موضوعية تتمشى وأصالة هذا العلم وموضوعيته وجبته .

(١) د . مصطفى الخشاب : دراسات في الاجتماع الاقتصادى . مطبعة لجنة البيان العربى ١٩٥٧ ص ١٤ .

(٢) د . السيد الحسينى وآخرون : علم الاجتماع الريفي والحضرى . دار الكتب الجامعية الطبعة الثانية ١٩٧٥ ص ١٧ .

(رابعا) علاقة علم الاجتماع بالعلوم الأخرى :

إذا كان علم الاجتماع له حدوده وموضوعات دراسته كما أسلفنا القول ، فإنه وفقا لتقسيم العمل والتخصص بات ضروريا أن يتميز وتصبح له هوية مستقلة عن جيرانه من العلوم الأخرى كالاقتصاد والتاريخ وعلم النفس وغيرها وإن يختص بمنطقة نفوذ ذات طابع سوسيولوجي ، ومع هذا فإن هناك رابطة بين هذا العلم وبين باقى العلوم الأخرى لأنها تتناول دراسة الإنسان ومن هنا يصبح الاعتماد المتبادل بينهما جميعا ضرورة كالعلاقة بين علم الاجتماع والتاريخ مثلا أو يدرس العلم الأول العمليات الاجتماعية في مجتمع ما مستعينا بكونه المعطيات التاريخية في تأصيل نتائجه الأمر الذى يؤكد أن التحليل التاريخي لأى بناء اجتماعى أمر على جانب كبير من الأهمية .

ويمكن أن نتضح العلاقة الوظيفية بين علم الاجتماع والعلوم الأخرى على النحو التالى :

علم النفس :

إن دراسة السلوك الاجتماعى للكائن الإنسانى لا يمكن أن ينصل عن الميكانيزمات السيكلوجية ، بل أن دراستنا للمنظمات الاجتماعية تؤكد أن البناء البشرى لهذه المنظمات يخضع بالتالى لدراسات علم النفس . فضلا عن ذلك فإن هناك علاقة وثيقة تربط بين دراسة الفعل action وبين الأسباب الاجتماعية التى تحدثه (١) ومن زاوية أخرى فقد يتعقد الموقف عند التفرقة بين علم النفس والاجتماع ، ذلك أن الأول يتولى دراسة الشخصية الفردية وما يتعلق بالذكاء والقدرات والاتجاهات والدوافع والمشاعر . بل قد يتفق علم النفس مع البيولوجيا في دراسة نسق الأعصاب ، ومن يمكن القول أن علم النفس يختص بكل ما هو ذاتى فى الإنسان على عكس علم الاجتماع الذى يهتم بكل ما هو اجتماعى فى ذات الفرد . لكن حين نتحدث عن علم النفس الاجتماعى فإن التفرقة قد يشوبها الغموض إذ أن الأخير (علم النفس الاجتماعى) يتطرق الى دراسة الاتجاهات وما يرتبط بها فى الجماعة الإنسانية

وعلى ذلك فإن هذا العلم ميدان هام لاهتمامات علماء الاجتماع (١) .

ونفضلا عن ذلك ، فإن علم النفس يحاول دراسة سلوك الفرد من خلال درجة تفاعله مع الغير ، وبينما يركز علم النفس على الفرد ، يركز علم الاجتماع على دراسة الجماعة ، وفي نفس الوقت يستخدم كثير من علماء الاجتماع مصطلحات سيكولوجية للتعبير عن مفاهيم اجتماعية ، فمثلا العلاقة بين التنمية المحلية ومعدلات الانتحار يمكن تفسيرها اجتماعيا وسيكولوجيا على النحو التالي : انه في المجتمعات سريعة النمو يوجد كثير من المهاجرين لا تربطهم أى رابطة أسرية أو درجة من الصداقة (وهذا هو الجانب السوسولوجي) وكثيرا ما يشعر هؤلاء بالانطواء والعزلة في بادئ الأمر ومن هنا تتداخل مصطلحات علم النفس والاجتماع (٢) .

الاقتصاد :

يتطلق هذا العلم بدراسة الأشياء المتبادلة بين الأفراد والجماعات والتي من شأنها أن تخلق قيمة لهذه الأشياء ، انه يمكن تحديد موضوع الاقتصاد فيما يمكن أن يدرس ريع الأرض وأجر العمل وأرباح رأس المال كما يدرس المهارات الادارية داخل النسق الاقتصادي (٢) لكن هذه الدراسات ذات الطبيعة الاقتصادية لا تجدى ان لم تتخلها النظرة السوسولوجية باعتبار أن كافة هذه العمليات الاقتصادية لا تتم الا داخل مجتمع وعلى هذا الأساس كان عمل رجل الاقتصاد أن يدرس تلك الحقائق الاقتصادية في ضوء دراسات علم الاجتماع ومن هنا تبدو الرابطة بين اهداف الاقتصاد والاجتماع .

التاريخ :

هناك علاقة وثيقة بين علم الاجتماع والتاريخ ، فالأخير سجل عام لأحداث الماضي ، وعند التمييز بين مباحث علم الاجتماع والتاريخ نجد أن العلامة ببرستيد Bierstedt يرى أن التاريخ يتسم بالخصوصية أو

(١) Evrett K. Wilson : sociology, the darsey press Homewood Illionois second prenting 1966.

(٢) Mott : op. cit. p. 3.

(٣) Wilson : Ibid p. 16.

الفردية ، على عكس علم الاجتماع الذى تقتسم دراساته بالعمومية ، ان التاريخ نظام وصفى بينما علم الاجتماع علم تطيلى ، وأن التاريخ يعطى تفصيلات نمطية للعلاقة بين الانسان والأحداث ، بينما يهتم علم الاجتماع بالأحداث المائلة والمثلث لها صورة واضحة فى ذهن الاجتماعى والتي تعطى تأكيدات واضحة لسير الظاهرة الاجتماعية ونشأتها وتطورها .

الأنثروبولوجيا :

لها علاقة وثيقة بعلم الاجتماع غير أنها متشعبة الى فروع مختلفة فهناك الأنثروبولوجيا الطبيعية أو الفيزيائية التى تدرس تشريح الجسم وهناك علم الأوكيولوجى أو دراسة تاريخ ما قبل الانسان ، كما أن هناك فرع اللغويات واللغويات المقارنة ، كذلك فهناك الدراسات الأنثروبولوجية الاجتماعية والثقافية ولهما علاقة وثيقة الصلة بعلم الاجتماع وإن كان البعض يرى أن الأنثروبولوجيا إنما تدرس الانسان البدائى فحسب بينما يهتم علم الاجتماع بدراسة الانسان المعاصر والمجتمعات المعقدة ، ومع ذلك فإن التمييز بين علم الاجتماع والأنثروبولوجيا غير واضح بالقطع إذ تتداخل الأنثروبولوجيا الاجتماعية وعلم الاجتماع فى تفاعل مستمر (١) حيث تدرس الأولى الجماعات وتفسر العلاقات بين الأفراد كاجزاء فى كل فضلا عن قيام الأنثروبولوجيا المعاصرة بدراسة المجتمعات بسيطة التكوين كالقرى والأحياء المتخلفة والتقبائل وبالتالي فإنها تستفيد من دراسات علماء الاجتماع فى هذا الصدد (٢) وفلا عما تقدم فإن فرع الأنثروبولوجيا الثقافية يتفاعل أيضا مع الدراسات السوسولوجية فى دراسة المفهوم الثقافى ، ويوضح نادل Nadel العلاقة بين ما هو ثقافة وما هو مجتمع ، فى أن الثانى (المجتمع) هو مركب من الناس وأن الطريقة التى يسلكها هؤلاء الناس فى معيشتهم هى الثقافة (٣) ومن هنا يبرز مدى التداخل والتلاحم بين الدراسات الأنثروبولوجية بقروها المعنوية وبيز للدراسات السوسولوجية .

Wilson : Ibid P.16.

(١)

Mot : op. cit. P.

(٢)

Milvle T. Herskovits : Cultural anthropology oxford

(٣)

IBH Publishing Co. New Delhi. 1958 P.31.

السياسة :

هناك علاقة بين علم الاجتماع والسياسة ، فكلاهما يهتم بدراسة السلوك الانساني ، كما تدرس السياسة كافة النظم السياسية ومدى تأثيرها على سلوك الفرد والجماعة كما أن هناك موضوعات تشير انتباه علماء السياسة مثل النظرية السياسية ونظرية الادارة والقانون والدولة والحكومة ، كما يهتم علماء الاجتماع بالنتائج التي يصل اليها رجال السياسة لأنها تساعد على دراسة أنماط السلوك الفردي والجماعي التي تحدث داخل التنظيم الاجتماعي .

ان دارس النظرية السياسية يتضح له مقدار التفاعل المستمر بين رجل السياسة والاجتماع وكيف يعتمد كل منهما على الآخر في بحوثه ودراساته وأن المتتبع لتاريخ النظرية السياسية يجد أن أفلاطون مثلاً قام بدراسات اجتماعية وسياسية حيث درس الطبقات الاجتماعية والعدالة والأسرة والتعليم ذلك خلال أبحاثه عن مدينة فاضلة كما كان لارسو أيضاً دراساته السياسية . وهكذا تطورت الدراسات السياسية إلى دراسة الدولة القومية والنظم الاشتراكية والفاشية والرأسمالية (١) . وكل هذه الدراسات إنما تدرس الواقع الاجتماعي للشعوب والمجتمعات ومن هنا يبرز التفاعل المستمر بين الدراسات السياسية والاجتماعية .

تلك هي أمثلة لواقع البحوث ودراسات علم الاجتماع وعلاقتها ببعض العلوم الاجتماعية الأخرى التي تسهم معه في دراسة الانسان والمجتمع ، وعلى هذا الأساس نقرر أنه رغم الصفة التخصصية للتي يتميز بها علم الاجتماع حتى تتوفر له مقومات العلم فإنه مع ذلك يتداخل ويتفاعل مع كافة العلوم التي تقيد في دراسة المجتمع كالاقتصاد والتاريخ والسياسة ... هذا يؤكد طبيعة العلاقة بينه وبين تلك العلوم .

(١) George H. Sabine : A. History of political theory third edition, oxford and IBH Publishing Co. New Delhi 1961 p. 35.